

زنبقة الغور

رواية اجتماعية متتابعة

﴿ بقلم ﴾

إبراهيم
البحراني

— ملخص ما نشر سابقاً —

فوتت ساره من بيت ابيها نجلال في مدينة جنين لحادث اصابها واضغطت زوجة ابيها عليها وظلها . فانامت في قرية في مرج ابن عامر لتستر عارها ريثا يتقضي امرها . فولدت طفلاً ميمناً ثم رحلت لقصده ابن بلدتها المعلم الياس بلان في قرية صفوره فعملت انهُ غادرها وترهب في الناصرة فقصدته في ديره طالبة مساعدته فوضعها في الدير لتخدم . ثم اسميهاها فاسميت اليه . وفرّ بها من الدير الى قرية كفر كنا وقد وعدتها ان يتزوجها ولكنه تركها هناك غادراً بها وهرب الى لبنان . فوضعت ساره بفتك وجاءت بها الناصرة فبيدتها عند باب دير الابدان . وراحت تنفّس عن خادعها في لبنان وسوريا فلم تجده فعادته بعد ستين طويلاً الى الناصرة فراها النفس جبرائيل مبارك في باب ديره فارتعش وعرف بها الفتاة التي اغرواها في صباه يوم كانت ابوها جملاً يتخدم ابيه سيفه جنين . فكتمها نفسه ورق لها فادخلها الدير لتخدم فيه . وهناك تعرفت بفتاة تدعى مريم تخدم في دير الابدان فحدث لها حوارها . وبينما ساره نائمة اثناء رعيها المواشي لدغتها حية واشرفت على الموت . فاستدعت النفس جبرائيل واعترفت له وتوصلت اليه ان يستدعي مريم لتودعها واوصته ان يسأل عن اصلها ويعتني بها فودعها النفس خيراً وكشف لها نفسه مستغزياً عما جناه عليها في صباها . ووضع النفس مريم تحت عنابته حسب وصية ساره فسالها عن حياتها في الدير فشكت اليه ما تقام به هناك من الضغط . فرّق لها وبخير الرئيسة بشأنها . وخرج حاتفاً مستاءً مما شاهده من فساد ملاهي الابدان .

- تابع ما قبله -

ووصل الى الدير فدخل الكنيسة وسجد امام القربان المقدس ساعة . صلى صلاة النساء ثم طفق يتمشى في الرواق وسبحته في يده .

« ابانا الذي في السموات اغفر لنا ذنوبنا . لا تدخلنا في التجارب . نجنا من الشرير امين »

ثم دخل حجرته واشعل شمعة فيها واخذ كتاب « الاقنء بالمسيح » وظل يقرأ فيه حتى نصف الليل . ونام عندئذ مطمئن النفس . هادئ . البال ، كأن لم يحدث ذلك النهار امر ما خطير ، كأن لم يطلع على اسرار تجعل الحياة البشرية لعنة في الارض . ولكنه حلم حلماً مزعجاً تلك الليلة سمع فيه صوتاً يكلمه قائلاً . اترك الفتاة مريم في الدير . خير لك ولها . فاستفاق القس جبرائيل مدعوراً ورسم شارة الصليب مستميناً بالله . « ابانا الذي في السموات لا تدخلنا في التجارب . نجنا من الشرير . امين » ثم اشعل الشمعة وفتح « الاقنء بالمسيح » فقرأ بضع صفحات ونفسه مضطربة وفكره متضعضع . فنهض من ساعته ولبس ثوبه وخرج الى الرواق يصلي صلاة الفجر .

وفي تلك الساعة اشعلت الزهراء مصباحها الذهبي فوق قمة طاوور . فلمست أعمته عين المرج الثائم في مهد الجبال بين السامرية والجليل . فاستحال اسمرار وجهه اصفراراً عليه غشاء رفيع من نسج الندی والنسيم . وكان ريع القمر قد دنا من البحر وقد احمرت جوانبه فشا به سيفاً مخضباً ، او قلامة

ظفر محنى ، او قطعة بطيخ على طبق من اللازورد ، وجبال عجلون وقد نظرت الى القمر والزهراء قبلها اخذت تخلع سراويلها السوداء لتستحم بنور الفجر الذي يبدو كذئب الرصاص فيسيل كذئب اللجين فيتدفق كعصير الرمان .

وقف القس جبرائيل في رواق الدير فاسكره هذا المشهد البهيج وانساء صلاته ، بل حرك لسان النفس فيه فنطقت بصلاة اسى واجمل . نظر الى الحقول حوله فرآها تهتز جذلاً ، وتهاوج حياً ، وتتلاها على صدرها قبلات الندى . نظر الى الناصرة على منحدر الجبل تحته فاذا هي نائمة مطمئنة هادئة آمنة ، تمطر احلامها الازاهر اليقظى في مصاطب البيوت وجنائن الادوية ، وتهدى حولها اغصان الزيتون يقبلها نسيم الليل ، وتداعبها انامل الصباح .

ثم طرقت اذنه اصوات الفجر وقد خرجت من سكينه الليل تشاطراً الجبال والمروج افراحها . في طيقان القناطر فوقه وتحت القرميد يعشش الحسون والسنونو فسمع حفيف الاجنحة وزقزقة الصغار في اوكارها . خرجت الام تسمى لصغارها وهي تسبح جذلة طرية . وفرع جرس احدى الكنائس التي يتقدس كاهنها باكرأ من اجل القملة فيصلون قبل ان يسيروا الى اشناهم في الحقول . وفي حارة الاسلام رفع المؤذن صوته الرنان وهو يدور في مأذنته كالشمس في فلكتها فتردد الجبال شرقاً وغرباً صدى كلماته . هبوا على الفلاح ؟ هبوا على الصلاة . وهناك على ذلك السطح رأى شيخاً

يفرش سجاده ليصلي صلاة الفجر . بسم الله الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . اياك نعبد واياك نستعين . اهدنا الصراط المستقيم . رآه يسجد سجده فشاركه القس جبرائيل بصلاته . وعلى سطح آخر أحيطت به مصاطب الصبى وازياحين اناس يشربون القهوة ويدخنون الاركيلة وهم يعزحون ويضحكون . وفي الطريق خارج الناصرة تُسمع اصوات القافلة فيردد المكارون الادوار على رنات اجراس البغال ويضحكون ضحك انباء الفلوات وقد خلت قلوبهم من المسموم وملاً نسيم الصباح انفسهم فزادها سروراً ونشاطاً . وفي طريق العين رأى القس جبرائيل امرأة تحمل الحجرة على رأسها والسبحة في يدها . خرجت من بيتها باكراً كما خرجت الحصونة من وكرها . تسمى لصفارها .

توهج الفجر فابقظ الارض وبنيا ، فرددت القوافل والاجراس والمؤذنون والاطيار صدى اصوات التسبيح بل صدى اصوات تلك النفوس البسيطة الخاشعة الصافية ، فهتف الراهب قائلاً . ما اجمل هذه الساعة وما اقدسها هنيئاً لقلوب ينكرها سكوت الفجر واريجها وانفاحه وانواره . ليت الحياة ساعة من ساعات الفجر !

وفي تلك الاونة مرت فناة تحت رواق الدير مسرعة واجفة فطرقت اذن الراهب خطواتها ولم يكثر . بل رفع صوته يصلي - اجعل اللهم حياة البشر هادئة صافية كفجر يومك . ارفع اللهم قلوب البشر الى جبال قدسك ، فيجلوها نسيم الحب ويعطرها اريج السلام .

سمعت الفتاة الصوت فعرفته فدخلت الدير بسرعة مستبشرة
 - سدد اللهم خطوات المصمدين في جبالك . وطلد اللهم مقاصد
 الشاخصين الى نجم فيرك . خفف اللهم بوس البائسين . أنر طريق الضالين .
 اطلق سراح المأسورين -

وكانت الفتاة قد صعدت اذ ذلك الى الرواق فسارعت الى القس جيرائيل
 تقبل يديه وتصرخ

- دخيلك . دخيلك . لا ترجعني الى الدير

- مريم ! مريم ! ماذا جرى ؟

- دخيلك . دخيلك . هربت من الدير . مساء أمس بعد ان تركتني
 استدعنتي الرئيسة الى غرفتها وضربتني حتى كدت اموت لانني شكوت
 مصيبي اليك .

- وكيف خرجت ؟ وكيف جئت الى هنا . من ذلك ؟

- الله خلصني والله داني . جئت افتش عنك . فأسمعني الله صوتك .

سمعت صوتك فعرفته . دخيلك ما لي غيرك . لا ترجعني الى الدير . اموت
 ولا ارجع .

- ليطمئن بالك يا بنتي . سكني روعك . تعالي معي

ومضى القس جيرائيل قدامها الى الكنيسة

- ادخلي يا بنتي . صلي ليوقفك الله . وانتظري في الكنيسة الى ان اعود



(الفصل الثالث)

. . .

في الحياة قوة خفية تجمع الناس وتفرقهم لغرض غامض قلما يدرك سره . بل في الحياة سحر قد يكون ساوياً وقد يكون جهنمياً يجذب الأضداد بعضهم الى بعض ويوقد في قلوبهم شعلة الحب التي توحد بين اكبر القلوب واصغرها وانورها واطلمها . ليس بين بشرين تناقض ابلغ واشد مما بين التس حيرائيل واخيه يوسف افندي مبارك العضو المسيحي في محكمة الناصرة والنوحه المقدم في قومه . وهذا التناقض الروحي والعقلي يزول دائماً عند المصافحة .

يوسف افندي في العقد الرابع من العمر طويل القامة قوي الساعدا دموي المزاج . جاحظ العين . ضيق الجبين . طلق المعيا . كريم النفس بسيطها . ثلاثة في الحياة تهمة فوق كل شيء وتستهويه . ثلاثة يحذر منها الانبياء . وينشدها بعض الحكماء . ويتنزل بها الشعراء . ويوسف افندي لا يجعل كثيراً بما جاء في الكتب المقدسة ولا في دواوين الشعر فهو لا يميل الى المطالعة ولا يهه الادب والادباء . يشره الى اللذات لتفريزة فيه . ويرغب بطيبات الحياة دون ان يتأثر بها . جليبه اخوه . وضيغه سيده . لطيف المزاج . خفيف الروح . كبير القلب . يقدس الضيافة والالفة ويمجد الوجه الوسيم والمائدة الفخمة . ولا عزيز عنده أعز من قنينة معتقة وصديق « معتق » . يشاركه شربها .

على ان انهماكه باللذات واسترساله في الشهوات لا تصده عن القيام
 بواجباته البيئية والعمومية . فيسعى في سبيل الحق وفي سبيل الناس ما
 استطاع . وقد امتاز عن زملائه مأموري الحكومة باستقامة ضميره وطهارة
 ذيله . فاحبه الناس لعذله ونزاهته . واحبه زملاؤه لكرم نفسه وخفة روحه .
 وما اشبه بيته بنادٍ لآخوانه واقربائه بل ما اشبهه بنزلٍ لكل لائمه بعدله
 واحسانه . ولا يُنكر ان بعض السعاة والوشاة كانوا يقولون ان بيت يوسف
 مبارك عش للدسائس وملطأ للمعائر . على ان المقيم في جواره . النافر من
 دخان ناره . قد يخطئ . الظن اذ يرى الروساء دينيين ومدنيين من رهبان
 وكهان ومأمورين يؤمّون داره حباً بنبیذہ المعتق وشغفاً بطاولة القهار التي
 ترأسها زوجته الست هند — او رغبة في فتجان قهوة فقط من يد احدى
 جواريه الرعايب .

ويوسف الفندي يحترم اخاه الراهب احتراماً لا غش ولا تكلف فيه .
 ويرتأخ الى حديثه . ويجنح غالباً الى رأيه . ولم يكن القس جبرائيل
 ليرتاب مرة في حبه لآخيه يوسف . ولقد طالما قال في نفسه . بيت اخي
 مثل ديوي . وحبفاً كرمه وعدله واحسانه في سبيل اخواني الرهبان . ولقد
 أدرك كلا الاخيرين شيئاً من الحقيقة في نفسه وفي اخيه ولم يدر كها كها .
 فالسيئات تولد الحب مثل الحسنات . وضعف المرء يزين الضعف في سواء .
 اجل . فان المرء يستأنس بنقص في اخيه شبه بنقص فيه ناسك يجوع
 جسده . وخليع يجوع فيه . فالجوع اذاً يجمع الاثنين ويؤلف بينهما

لما ترك القس جبرائيل مريم في الكنيسة جاء مواء الى بيت اخيه فراه
 يدخن الاركيعة ويشرب القهوة في فناء الدار وهو متربع على الديوان لابس
 فوق قميص النوم عباءة حرير زرقاء . فنهض هاتفاً اذ رأى القسيس اخاه .
 ما شاء الله ! ما شاء الله ! على غير عادتك يا شيخ . ولكن الرهبان ينهضون بأكرام
 - صحيح . وينامون نصف النهار . الساعة الثالثة بعد الظهر هي نصف
 الليل عندنا .

- هنيئاً لمن ينامون . انهكني الارق . حرق ديني . وصفق كفاً على
 كف فحضرت الصانعة .

- هاتي جيرة . واعلمي اركيعة وقهوة للقس جبرائيل .

- لا . لا . لم اقدس بعد .

- عجيب امركم . ألا تشربون الخمر في القداس وتحرقون البخور ؟
 فالتبوة نوع من الخمر . والتبك مثل البخور . يسهها . هاتي يا بنت
 اركيعة وقهوة .

- يظهر ان الارق ينفعك . أفلا ترى انه يشجذ قريحتك ويجلبو تفكك ؟

ولعمري ان من يحسن الاسخان - فقاطعه اخوه قائلاً .

المصيبة يا شيخ انك دائماً تدور الدورات - ممتطياً صهوة الفصاحة -
 هذه عبارة عربية تعجيبك - سمعتها البارح ففلقنت ذهني وعلقنت فيه -
 انزل اذاً عن ظهر الفصاحة واجلس الى جنبي . فاني والله مشتاق اليك .
 ما زرتنا منذ شهر . واذا كنت تريدها بالملعة فاعلم ان حضورك وليس

الاروق يشهد القريحة ويجلو النفس .

وجاءت اذ ذاك صانعة حنة الوجه والتد والحركة تحمل اركيلة
عجنية فخمة في مائها ورد وباسمين فاثبتها على السجادة وقدمت التريش
وبدها اليسرى على صدرها الى التمسيس فأخذه باسماً والقي به على الديوان .
ثم جاءت صانعة اخرى بفنجان من القهوة في ظرف من الفضة على صينية
من النحاس الشامي الثمين . فأخذه القس جبرائيل واستنشق منه قليلاً
وقدمه الى اخيه قائلاً .

- بنكم عاطل جداً .

- وعذرك مثل بنتا . بالله قل لي . ما الفرق بين الاستنشاق والشرب
وبين الشم والذوق . هل الشم لك والانف لتفرك ؟

-- ما جئت هذه الساعة اباحثك في علم الفيزيولوجيا . كم خادمة
عندكم اليوم .

-- عرضنا كل ما عندنا الان

- اثنتان فقط .

- والطابخة - ولكنك تعرف امرأة اخيك فقد تطرد واحدة منهم
او تطردهن كلين غداً . فهي لا تطبق خادمة عندها اكثر من شهرين
والمخادمت لا يظننها يوماً واحداً

- اعرف فتاة تجيك .

- لا يفيد . ينبغي ان تعجب الست هند

- وهذا ما اعنيه . تعجيبا كثيراً . فتاة ذكية فهيمة خفيفة الحركة نشيطة بارعة . ولكنها عنيدة . وينبغي لكم ان تداروها في اول الامر . الفتاة عزيزة علي . وقد اوصيت بها وهي لا تحب ان تخدم في الدير . واحب ان تخدم عندكم لتظل تحت مراقبتي . اوصيك بها خصوصاً
- وكم عمرها ؟
- ست عشرة سنة
- وهل تحسن الخدمة ؟
- كانت تخدم في غرفة المائدة
- واين هي الان ؟
- عندي . تنتظرنني في الكنيسة . ساجيئكم بها بعد القداس وهم القس جبرائيل بالانصراف . فمشى اخوه معه حتى الباب ثم قال
- وما هذه الاشاعات التي يشيعونها عنك . كيف حالك واخوانك
- الرهبان ؟ سمعت البارح ان رئيس الدير ينوي ان ينقلك الى لبنان
- لبنان احسن من الناصرة
- والامراة سارة التي توفيت البارح اصحيح ما يقال انها -
- هي ام الفتاة التي حدثتك بشأنها
- ام الفتاة ؟ او لم تكفك الام وما اشاعوه عنها وعنك ؟
- الله وحده يعرف ما في قلبي . الله وحده يدينني . ولا اسألك انت يا يوسف غير امر واحد ان تساعدني في تربية هذه الفتاة وان ترمقوها بعين

العطف والحنان وتعاملوها بالمعروف . ساجيتكم بها اليوم .
 وعندما ودع اخاه كانت الست هند خرجت من غرفتها فرأت الراهب
 في الباب . فسألت زوجها ما الغرض من زيارتها فاجبرها . فسرت بذلك
 لانها تتمكن اذا جاءت الخادمة الجديدة من طرد احدى الثلاث عندها .
 ابي الجميلة فيين .

(ستأفي البقية)



سور فلانين



(الثمرة الممنوعة)

منقولة عن مجلة يابانية



سؤال وجواب

غليوم - الا تفضل يرانفتي ؟
ملاك السلم - شكراً لك . ولكن نظف يدك اولاً



في غالبيا

(الفوزاتي يرخي العنوان لجواده . ولا

يرده شيء)



(زحمة في بحر الدماء)

المذرك يتزهبون في قارب ربانه عزرائيل
وأيدي صحايام تمده نجوم مؤنبة